حـوار الأنـا والآخـر:
بين واقع التنوع الثقافي وعائق العولمة

أ. جفال عبد الإله*

يعتبر موضوع الحوار بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط أخصب الحقول على مستوى البحوث الأكاديمية الراهنة، ولا يمثل هذا الاهتمام إلا انعكاسا للواقع المعيش على المستوى الفكري، فواقع هذه المنطقة يعتبر نقطة تقاطع بين أنموذجين حضاريين بلغت درجة الاختلاف بينهما مستوى المفارقة في العديد من الأحيان؛ إذ نجد على المستوى الثقافي هويتان لكل واحدة منهما مقومات مختلفة عن الأخرى، والمقصود هنا الدين أولا ثم المرجعيات الفكرية، ناهيك عن اللغة والتاريخ وغيرها من الوحدات المشكلة للثقافتين الغربية الممثلة للضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط والعربية التي تمثل الضفة الجنوبية لنفس المنطقة؛ فالتنوع الثقافي واقع يميز المنطقة وهو أمر لا يمكن بأي شكل من الأشكال تجاهله أو العمل على إذابته باستخدام سوائل كالنزعة الإنسانية أو المصلحة المشتركة أو غيرها من أفكار الخطاب الذي يزعم لنفسه القدرة على الجمع بين هذين الأنموذجين الثقافين في حوار فعال يضمن للطرفين المصالح والاحترام؛ من جهة أخرى هناك واقع آخر يميز طرفي معادلة حوض البحر الأبيض المتوسط، إذ تجمع المنطقة بين شمال متفوق ومتجانس وجنوب متأخر ومشتت؛ الأمر الذي يجعل الإملاء بديلا للحوار على الأقل بمنظور المعادلة الخلدونية التي منحت للغالب السلطة على المغلوب، الأمر الذي تجسد في فكرة العولمة التي تحاول أن تجعل من الأنموذج الغربي نموذجا يجب أن تكون الضفة الجنوبية من حوض البحر الأبيض المتوسط مرآة له؛ عندئذ نكتشف أن التنوع الثقافي مهدد، بل هو شبيه بتلك الفكرة المثالية التي لا يرحب بها واقع المنطقة، كما نكتشف أن اللذين يحترمون فكرة الحوار بين الضفتين في ظل التنوع الثقافي هم إما يتجاهلون الواقع وقوانين الطبيعة أو هم لا يحترمون الفكرة بل يمثلون الاحترام فقط.

قد يرى البعض أن هذا التحليل هو مجرد كتابة اتخذت من لعبة المفاهيم مهنة لها، لكن ما يؤكد

1 * أستاذ بجامعة معسكر/ عضو بمخبر الأبعاد القيمية بجامعة وهران2.

Abstract: The East-West dialogue is an issue whichdeservesgreat attention. This concern has been reflectedthroughout the manywritingsthat express differentviewpoints about thissubject. Whatisappealing in the presentattempt, however, isthat the globalization impact on this dialogue is considerably taken into account, for the latter requiresseveral conditions which must befulfilledsothat to be effective and to achieveits objectives. Dialogue among civilizations presupposes, at least, the recognition of cultural diversity, whichisinconsistentwith the idea of globalization and its goals. This meansthat the dialogue of civilizationsislocalized in the field of cultural diversity/globalizationdialectic –a problematic which is worth serious pondering.

Keywords: east-west dialogue-dialogue among civilizations-globalization-cultural diversity

مصداقية ومشروعية هذا التحليل هو العديد من النماذج الفكرية الغربية والعربية التي ستكون سندا لنا في تحليل هذا الموضوع الذي يبدو الخروج منه بحل ولو تقريبي أمر شبه مستحيل.

من كل ما سبق يحق لنا أن نتساءل:

كيف يمكن أن يقوم حوار بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط في ظل واقع تنوع ثقافي من جهة وفكرة العولمة الرافضة لهذا التنوع من جهة أخرى؟

لقد سبق وأن تطرقنا لموضوع شبيه لهذا الموضوع منذ زمن ليس ببعيد وقد كان متنه يتعلق بنظرة روجيه غارودي لموضوع الحوار وطبيعة العلاقة بين الأنا والآخر في منطقة المتوسط، وأما النتيجة التي خلصنا إليها فقد كانت وللأسف رفض أكذوبة الحوار التي ساهمنا في نحتها جميعا، والغريب أننا صدقناها؛ فالحوار في ظل كل الشروط والظروف المتوفرة لا يعني سوى الإملاء والانصياع، إملاء شمال قوي مصاب بمرض تضخم الأنا الذي يكاد يبلغ جنون العظمة وانصياع جنوب ضعيف يكاد انبهاره بالغرب يتجلى حتى في أبسط أشكال عيشه؛ لكل تلك الأسباب نقول أن فكرة الحوار أكذوبة يجب أن لا نصدقها، فحتى حديثنا عنها يجب أن يصحح على النحو الذي صيغ في مقالنا السالف الذكر والذي تضمن فكرة «في سبيل حوار الحضارات».

لقد تذكرت وأنا أباشر كتابة هذا المقال، فكرة **صاموئيل هنتنجتون** والتي يتحدث فيها عن صدام الحضارات، وقبل الابحار في هذا الموضوع أريد وضع مسلمة لا تقبل الشك ولا حتى البرهنة، لسبب بسيط وهو أننا نثق فيها ثقة مطلقة؛ هذه المسلمة تفيد بأن الحوار سلوك حضاري وإنساني كلما تمسكنا به تجنبنا الصراع وكلما أغلقت أبوابه إلا وظهرت الحروب والنزاعات؛ أما فكرة الصدام فلا يجب أن نلوم **هنتنجتون**عليها لأنه لم يكن يدعو إليها بل تنبأ بها فقط، ولكن من المفكرين الذين أحترم قراءتهم البارعة لهذه الفكرة **أمانعبدالمؤمن** صاحب كتاب « **إشكالية الصراع والتعايش بين الحضارات**»، فقد رأى هذا المفكر أن أطروحة **هنتنجتون** ستكون قريبة من التحقق في الواقع كلما رفضنا فكرة التعدد الثقافي، فالتأسيس لفكرة التعدد الديني والحضاري من شأنه أن يخفف من التوتر[1].

على هذا الأساس يجب أن نشير بأن فكرة التنوع الثقافي تعبر عن الواقع الذي لا يجب بأي شكل من الأشكال تجاهله أو التنكر له، أما فكرة العولمة فهي تكرس رفض التنوع والاختلاف الأمـر الذي يقضي ـحسب من يروجون لهاـ على الحروب وكل أشكال الصراع الذي من المستحيل أن يكون بين أشخاص من بيئة واحدة، أي لهم نفس الدين ونفس اللغة؛ وأما رفض التنوع الثقافي والتأسيس لنموذج ثقافي واحد يسود الكون فلم يترك كنتيجة للتخمين أو للظروف، بل هو أمر محسوم مدام السائد حتما هو من يكون في موقع قوة أي الغرب؛ والدليل على صحة ذلك أن مفكرا آخر وهو **عبدالإلهبلقزيز** عبر هو الآخرعن هذه الفكرة بأسلوب واضح بسيط يلخص عناء الشرح والتأويل لذلك ارتأينا تقديم النص كما هو على

1 أمان عبد المؤمن قحيف، إشكالية الصراع والتعايش بين الحضارات الإسلام والغرب نموذجا، مكتبة الآداب، الطبعة 1، القاهرة، 2007، صفحة 57 .

طريقة الاقتباس من كتابه « **العولمةوالممانعة** »، فقد جـاء فيه ما يلي: «فما السبب في أن منطق العولمة ـ الاقتصادية والتقانية والثقافية ـ وهو: الزحف المعمم للقيم المادية والرمزية، لا يحمل في ركابه تحللا للنظام السياسي المصدر (أو المنبع) ـ نعني الغرب ـ بينما هو يطيح بدول الجنوب (أي المصب)»[1].

من كل ما سبق نستنتج أن الخيارات المطروحة أمامنا كلها تحمل من التعقيد ما يلبسها ثوب المشكلة، فالخيار الأول يتمثل في القبول بفكرة أن العولمة ليست فكراً بل هي حالة أفرزها الواقع الاقتصادي للعالم في الفترة المعاصرة؛ ومنه يجب عدم ممانعة النموذج الغربي بل يجب الانفتاح على هذا النموذج لما يقدمه من رفاهية للأفراد وحلول للأزمات.

أما الخيار الثاني فهو رفض العولمة والتمسك بالهوية، لكن هذا الحل قد لا يرضي القوي الذي قد يتهم هذا الخيار بالأصولي المتطرف اللاديمقراطي....إلخ من الاتهامات التي تعتبر بداية التدمير لأوكار الممانعة أو المقاومة.

في كل الأحوال الأنا مهدد وهويته يجب أن تستبدل بهوية جاهزة، كل هذه الأفكار أثارت فينا القلق الفكري الذي كاد يتحول إلى قلق وجودي في ظل تغيير قادم لا محالة وهو مفروض علينا شئنا أم أبينا، ذلك القلق الفكري هو الذي دفعنا لإثارة موضوع العولمة والتنوع الثقافي كجزئية لا يجب إغفالها في موضوع حوار الأنا والآخر الذي يبرز لنا في شكله العام أن المقصود منه هو المقاربة بين الضفتين وتبديد الخلاف وصناعة نقاط تقاطع كالمستقبل والمصلحة المشتركة بين الشمال والجنوب؛ قد يبدو للعديد أني أجدف بعكس التيار أو أغرد خارج السرب لكني متأكد أن الكل يعلم بأن العولمة هي الدرجة العليا للهيمنة والتبعية والسيطرة الرافضة لكل ما هو محلي وخاصة الثقافي الديني[2].

نعيد التذكير أننا سلمنا سلفا أن الحوار بالنسبة إلينا هو السبيل الوحيد لتبديد التوتر والخلاف، معنى ذلك أن الحوار الذي نريد التأسيس له بين الضفتين هو حوار لا يجب أن يتجاوز حدود المحلي، أي لا يجب أن ينكر التنوع الثقافي الذي نؤمن به لأن ديننا يؤكده فالله خلقنا وجعلنا شعوبا وقبائل ولو شاء لجعلنا أمة واحدة، يقول الله عز وجل: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجًا ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً** ﴾ [3]. من كل ما سبق، نستنتج أن حوار الأنا والآخر في حوض البحر الأبيض المتوسط يجب أن يخضع إلى استراتيجيا معينة تمكننا من الحفاظ على تنوعنا الثقافي؛ قد يعتبر البعض أننا نصوغ مدونة بأسلوب الحماياتية أو متظاهري جينس[4]*، لكننا نؤمن بما طرح في كتاب « **أكاذيبالعولمةالعشر**» للمفكر **هارالدكلمنط**، لكننا في نفس الوقت لا ننفي أننا نشترك مع الآخر في العديد من النقاط بل حتى المحاور الثقافية، بمعنى أننا نريد

1 عبد الإله بلقزيز، العولمة والممانعة، دار الحوار للنشر، سوريا، الطبعة 1، 2002، صفحة 48.

2 - المرجع السابق، صفحة 50/49.

3 - المائدة، من الآية 48.

4 *- الحماياتية " *les protectionnistes*"، ومتظاهري جينس بإيطاليا هم الرافضون للعولمة واللذين وصفهم بوش الابن بعصابة المتهورين.

البحث عن الصيغة المثلى التي ستمكننا من التقارب مع الآخر في حوار لازلنا نصر على أن يكون مشروطا؛ وأهم شروط الحوار ستكون حتما منافية للعولمة المتوحشة التي تريد بعض القوى الغربية الليبيرالية أن تفرضها على الجميع بحكم أنها تكرس حرية التبادل بين المجتمعات، كما أنها سترسم الجزء الأكبر من استراتيجيا الحوار التي تخدم دول الجنوب.

أ. **شروط الحوار واحترام التنوع الثقافي:** يجب أن نشير في هذا المقام إلى أن هذه الجزئية قد تحدثنا عنها سلفا في مقال شاركنا به في ملتقى حول الحوار في حوض البحر الأبيض المتوسط وقد كان عنوان المقال «الدين وحوار الحضارات»[1]*، ففي هذا المقال أسسنا لفكرة مفادها أن الحوار بين الشمال والجنوب يجب أن يتم في ظروف معينة تصنعها شروط معينة؛ بمعنى أن ما يسمى حوارا اليوم هو حوار زائف في نظرنا لا يخرج عن الإملاء الذي يمارسه أي قوي إن جمعته الظروف بمن هو أضعف منه؛ وحتى لا نطيل ونجتر الأفكار نذكر بالشروط كما وردت في هذا المقال ثم سنقوم بشرحها فيما بعد.

1. الاعتراف بالآخر المختلف عن الأنا والاعتراف في نفس الوقت بحريته في صناعة ذاته وصياغة تجربته على النحو الذي يريد مادامت لا تتجاوز حدود الآخرين.
2. عدم إسقاط واقع القوي والضعيف على مجريات الحوار لأن قوي اليوم ليس بالضرورة هو قوي الأمس وقوي الغد، أي أن الحوار يجب أن يتم بمساوات بين المتحاورين حتى لا يتحول إلى إملاء.
3. ضمان الحوار لمصالح طرفي الحوار دون أن تحقق مصالح طرف على حساب مصالح الطرف الآخر.

هي ثلاثة شروط لا غير، لكنها كفيلة بحماية التنوع الثقافي ورفض العولمة كإملاء غربي يحاول البعض بشتى الطرق أن يجعل منه تجسيدا للحرية والعدالة والرفاهية التي يوعد الجميع بها لكن لا يستمتع في الأخير بخيراتها إلا البنكيون الآتون من الشمال، لقد قمنا بصياغة هذه الشروط الثلاثة بفضل الانفتاح على الآخر والاستفادة من تجربته كما علمنا ديننا الحنيف فالقرآن الكريم يأمر المسلمين بقراءة تاريخ الآخر والاستفادة منه، يقول الله عزوجل: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وأَشَدَّ قُوَّةً**﴾[2]، فالهنود الحمر قالوا: لقد كان الإنجيل بيدهم والأرض كانت لنا، واليوم الإنجيل بيدنا والأرض لهم؛ بمعنى أن الرجل الأبيض لن يدخر جهدا في سبيل تحقيق طموحاته التي ينحتها مخياله الميكيافيلي فحتى الدين وقد تم استغلاله.

الشرط الأول يلزم المتحاورين وهما الشمال «الغرب» والجنوب «الشرق» باحترام كل طرف لخصوصية الآخر وحريته في نحت ذاته ومستقبله ما لم يمس بحقوق الآخرين واختياراتهم، بمعنى أن الديمقراطية السياسية والليبرالية الاقتصادية أصبحت اليوم إملاءات يجب تطبيقها، بل أصبح من يرفضها متهما بالديكتاتورية أو الشيوعية، لكننا نرى أن الغرب يسوق لأنظمة من شكل واحد يرى أنها الأنظمة الأحسن

1 * عبد الإله جفال، الدين وحوار الحضارات قراءة في مدونة روجيه غارودي.

2 غافر، من الآية 82.

أو إن صح القول الأنظمة المشروعة في نظره وخاصة النظام الديمقراطي والنظام الرأسمالي، والحقيقة أن الشرائع والأنظمة تختلف والمجتمعات حرة في اختيار أنظمتها وشرائعها التي ترى أنها تناسبها ما لم تهدد المجتمعات الأخرى.

أما الشرط الثاني، فيرفع الحوار عن واقع القوي الضعيف، لأن هذه المعادلة غير ثابتة الطرفين بدليل التاريخ الذي يثبت أن القوة والضعف ينتقلان من حضارة لأخرى حسب ظروف وأسباب عديدة لا مجال لشرحها الآن، فإذا كان اليوم الغرب قويا ونحن بحكم غفلتنا تأخرنا عن الركب الحضاري فهذا لا يمكن الغرب من فرض نموذجه الحضاري علينا فنحن لم نفرضه عليه يوم كنا في مركز قوة لأن الاسلام لا يفرض بل يعتنق ولأن المسلمين كانوا يعترفون بالآخر مهما كان لونه أو جنسه أو حتى عقيدته.

إذا كان الشرط الأول والثاني يحددان شكل الحوار من خلال تحديد مكانة المتحاورين، فإن الشرط الثالث يحدد غائية الحوار ويكرس من خلالها العدالة حين لا يميز بين مصالح المتحاورين ولا يضع مصلحة طرف على حساب مصلحة الطرف الآخر؛ والقصد هو تحقيق الحوار لمكاسب أو فوائد ينتفع بها الجميع، سواء كانت هذه المكاسب اقتصادية أو سياسية أو غيرها من المكاسب الأخرى التي يقام من أجلها حوار الضفتين من المتوسط.

إن الشروط السالفة الذكر تمكننا لا محالة من إقامة حوار على نحو يحفظ للطرفين الكرامة والمصالح دون المساس بخصوصية كل منهما لأن التنوع الثقافي يعبر عن إرادة الخالق الذي أراد أن يجسد في خلقه تنوع الألسن والشرائع والألوان والسلوكيات وغيرها من مظاهر الثقافة، كما أن هذه الشروط ترسم وإلى حد ما استراتيجية تساعدنا على ممارسة حوار يساعدنا على الاستفادة من حضارة الآخر دون الخوف على هويتنا وثوابتنا من التميع؛ مثلما تؤسس هذه الشروط للتنوع الثقافي فهي ترفض العولمة باعتبارها هيمنة الغرب في ثوبها الجديد، فبعد أن كان الغرب يستخدم الأدوات العسكرية ليحقق أهدافا اقتصادية، ها هو اليوم يستخدم الأدوات الفكرية كالعولمة والحرية ليحقق نفس الأهداف؛ لذلك فإن شروط الحوار سوف لن تمتلك أية قيمة إن هي لم تعزز بإجراءات أخرى فكرية نظرية وليست عملية تطبيقية.

ب. رفض العولمة باعتبارها تعبيرا عن المركزية الغربية والاستعلاء الثقافي: يشيد العديد من المفكرين بالتراكم الفكري والثقافي عبر التاريخ والذي يؤكد أن الحضارة البشرية هي ليست حكرا على شعب أو أمة دون غيرها من الأمم الأخرى، فالإنسان البدائي له نصيب من كل ما تم تحقيقه في شتى المجالات بما فيها التقنية؛ بل إن استخدامنا لمفهوم الإنسان البدائي لهو استخدام غير منصف، لأن الإنسان المعاصر قد يأتي عليه زمن يعتبر فيه بدائيا، نقول ذلك لأن ربطة العنق ليست هي من يفصل بين البدائي والمتحضر؛ كل ذلك يلزمنا رفض العولمة لأنها تعبر عن مركزية ثقافية يريد الغرب أن يؤسس لها ويفرضها على الأمم الأخرى، ونحن لا نقدم فكرة جديدة أو غريبة بل ما نتحدث عنه سبقنا إليه **ليفيشتراوس** و**ماركأوج** وحتى **غارودي** وغيرهم كثير؛ والعولمة لا تعبر عن المركزية فقط بل هي تعبر عن اضطراب

عقلي خطير عندما يريد مصدرها أن يفرض نمطا ثقافيا معينا على الجميع بحجة أنه الثقافة الأسمى الأمر الذي يثبت أن العولمة تعبر أيضا على استعلاء ثقافي تبزغ بداياته في الكوجيتو الديكارتي «أنا أفكر إذا أنا موجود»، فالعولمة إذا لا تخدم فكرة الحــوار التي نريد التأسيس لها، بل نريد للحوار أن يتحول إلى ثقافة تجمع بين شعوب المتوسط بعد الحكومات، نقول ذلك لأن دول المتوسط لم تؤسس لحوار فعلي يستطيع الانتقال من المستوى الأكاديمي إلى المستوى الشعبوي العامي كحوار يجمع بين شخصين أحدهما من أوربا والآخر من شمال إفريقيا يستقلان نفس القطار؛ ومن مخاطر العولمة أنها تولد سلوكا مضادا يعرف بالممانعة أو الانكفائية وهو سلوك دفاعي ينشأ لدى من تهدده العولمة في هويته والغريب أن سلوكيات الممانعة أو الانكفائية قد تتحول إلى تعصب أو حتى تطرف لمواجهة من يهدد الذات في مقوماتها وعلى رأسها المقومات الدينية، كل ذلك ما هو سوى نتائج سلبية للعولمة التي لا تقضي على الحــوار فحسب بل تؤدي بنا وبالضرورة إلى الصراع أو الصدام، إن العولمة إذا هي العائق الأكبر أمام إقامة حوار متوسطي يجسد التنوع الثقافي ويحوله إلى تثاقف متوسطي.

هـ. الحوار المتوسطي والإيمان بالوحدة: هل تؤمن ساكنة حوض البحر الأبيض المتوسط بالوحدة؟

هذا السؤال مهم جدا والإجابة عنه ستمكننا لا محالة من فهم حاضر المنطقة كما ستمكننا من استشراف مستقبلها؛ لا يختلف اثنان على أن الفرنسي أو الإيطالي قريب من الشمال الإفريقي جغرافيا، لكنه قريب من الأمريكي ثقافيا والتحالفات السياسية دليل على ذلك فالأوربي لا يبادل العرب القريبين منه جغرافيا الشعور بالانتماء الواحد، والأمر نفسه بالنسبة للجزائري أو التونسي، معنى ذلك أن الحوار المزعوم هو زيف أو وهم كما سبق لنا وأن جزمنا، لأن الحوار لو كان حقيقيا لمكن ساكنة الضفتين من المتوسط من التقارب ولمكنهم من الشعور بالوحدة الجغرافية على الأقل. إن الشعور بالوحدة أو الانتماء لنفس المكان لهو الدليل على أن منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط قد تمكنت من قطع أولى خطواتها نحو حوار فعلي، فعلى أوربا أن تحذر من طمس الغير لأن جل فلاسفتها أثبتوا بالبرهان أن الأنا لا يقوم ولا يستوي إلا بوجود الآخر، فالعولمة تريد نفي الآخر ثقافيا على الأقل لأنها تسلبه ثقافته وتمده بثقافة جاهزة تقوم على المادي والحر وغيرها من مفاهيم العولمة؛ والعولمة تولد نتيجة ذلك رد فعل دفاعي لدينا يتمثل غالبا في الانغلاق على الذات ورفض من يهدد هويتنا، الأمر الذي يجعل من العولمة السبب الرئيس في إضعاف الشعور بالوحدة لدى الأفراد في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، والدليل هو أن الاتحاد الأوربي نشأ منذ زمن قريب جدا وتمكن من أن ينشئ لدى ساكنة أوربا الشعور بالوحدة، في حين أن الحوض كمنطقة هو موجود منذ أزمنة غابرة ولم تنشأ بين ضفتيه تلك العلاقة التي توحد بين شعوب تجمعهم المصلحة المشتركة والتاريخ وغيرها من المقومات.

لقد أكدنا مرارا على أن العولمة تهدد التنوع الثقافي وتقف في وجه حوار متوسطي يمكنه أن يؤسس لتثاقف بين الضفتين، أو بالأحرى لعلاقة يسودها الاحترام المتبادل بين المتحاورين؛ نقول ذلك لأننا نعيد

ونذكر بأن ما يسمى حوارا متوسطيا بين الضفتين الشمالية الأوربية الغربية والجنوبية الإفريقية الشرقية ما هو إلا صورة يجب تقديمها للعالم حتى يُقال بأن شعوب المتوسط بلغت تلك المرحلة من التحضر وخاصة أوربا التي تريد أن تسوق لذلك على حساب الجنوب الذي يتحمل هو الآخر قسطا كبيرا من المسؤولية عندما يدرك أن ما يقوم به ليس حوارا ويمضي فيه قدما، بل ويحاول أن يوهم نفسه والآخرين أن هذا الحوار هو حوار سيقود المنطقة إلى الأمن والتعاون .....إلخ.

خلاصة القول، إن الحوار قيمة حضارية وأخلاقية تعبر على إنسانية الإنسان، لكننا لا نريد أن تتحول إلى مطية لتحقيق أمور سياسية تؤكد الفجوة العميقة الموجودة بين السياسة والأخلاق منذ نشوء السياسة، كما أن العولمة ليست بالمفهوم السلبي بالمطلق لكن توظيفاتها لم تترك لجانبها الإيجابي مكانا فجعلت منها مفهوما يقترن بالهيمنة تحت غطاء الحرية والديمقراطية وغيرها من المفاهيم التي لا تحمل قيمة في ذاتها بقدر ما تمثل المستنقع الذي يحسن الغرب الاصطياد فيه؛ أما التنوع الثقافي فهو طبيعة الشعوب، بل حسب نظرنا هو إرادة الله في خلقه ومحاولة القضاء على التنوع الثقافي من خلال عدم احترام خصوصية الآخر وعظمة الأنا لهو أمر يخالف الطبيعة التي وجدت عليها الشعوب والتي أرادها الله في خلقه لذلك من حقنا الدفاع عنها ليس لأننا اليوم في مركز ضعف بل لأن اجدادنا دافعوا عنها عندما كانوا في مركز قوة.

ولا يمثل ما سبق مجرد أطروحة فكرية أو فلسفية بعيدة عن معطيات الواقع بل إن ما قدمناه يعبر عن فكر تجسد في عديد المؤلفات أشهرها في الفترة المتأخرة مؤلف **أرمانماتلار** الموسوم بـ: (التنوع الثقافي والعولمة)[1]* وفي هذا المؤلف يبرز **أرمانماتلار** نفس الفكرة والتي مفادها أن العولمة تهدد التنوع الثقافي لأنها هيمنة المركزية الثقافية الغربية على الثقافات الأخرى؛ والغريب في الأمر أن **أرمانماتلار** يسلك طريقا آخر للوصول إلى إثبات تهديد العولمة للتنوع الثقافي هذا الطريق يسرد كل التفاصيل والحيثيات التي يستخدمها الغرب لفرض العولمة من الديمقراطية وهوليود إلى اليونسكو وغيرها من الأدوات التي يوظفها الغرب لفرض ثقافته الرافضة للثقافات الأخرى، وإن كان الوقت والمساحة لا يسمحان في هذا المقال لشرح أطروحة **أرمانماتلار** إلا أن ما ذهب إليه هذا المفكر يؤكد مشروعية ما ذهبنا إليه.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. أمان عبد المؤمن قحيف، إشكالية الصراع والتعايش بين الحضارات الإسلام والغرب نموذجا، مكتبة الآداب، الطبعة 1، القاهرة، 2007.
3. عبد الإله بلقزيز، العولمة والممانعة، دار الحوار للنشر، سوريا، الطبعة 1، 2002.
4. عبد الإله جفال، الدين وحوار الحضارات قراءة في مدونة روجيه غارودي.

1 * المؤلف مترجم إلى العربية في طبعته الأولى من قبل خليل أحمد خليل سنة 2008م لدار الفارابي للنشر ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.